## الفصل الثالث

## فى إذاعة القرآن الكريم

**مذيع هواء...**

يعلم كل من يعمل فى مجال الإعلام الإذاعى والتليفزيونى أن أستوديو الهواء هو المكان الأكثر أهمية والأكثر خطورة، لأن الكلمة التى تقال أمام الميكروفون فيه لا يمكن إعادتها ولا يمكن تعديلها، بخلاف أستوديو التسجيلات الذى يمكن أن تُعيد مرات ومرات حتى تستقر على ماتريد أن تقوله للناس، بل يمكن أن تقدم وتؤخر كما تريد عن طريق المونتاج أو القص أو اللزق، أما أستوديو الهواء فالكلمة فيه كالسهم الذى يخرج من القوس أو الطلقة التى تغادر قناة المدفع لا يستطيع أحد أن يعيدها، لذلك كان لمذيع الهواء مواصفات يجب أن تكون حاضرة فيه وخاصة عندما يعمل فى إذاعة متخصصة كإذاعة القرآن الكريم، ومن هذه الأشياء والخصائص:

**أولًا**: أن يكون لديه ثروة لغوية كبيرة من ناحية القواعد اللغوية والنحوية، لأنها الوسيلة الصحيحة لتبليغ رسالته، وأن تكون هذه اللغة

وسطًا مابين القديم الذى يجب أن يحافظ على أصالته وبين استخدام الألفاظ القريبة المعنى دون أن تنزل إلى درجة العامية أو الابتذال اللغوى، ذلك لأن اللغة واسعة الأطراف وتستطيع أن تأخذ منها قواعد سليمة وكلامًا أقرب إلى فهم الناس وخاصة فى مجتمع ما يقرب من نصفه لا يجيد القراءة والكتابة.

**ثانيًا**: أن يكون سريع البديهة لماحًا حاسمًا فى المواقف التى لابد فيها من الحسم السريع، وأن يكون ثابتًا عند التعامل مع المواقف، بحيث لا تضيع منه الحكمة وقت أن يطلبها أو وقت أن يكون لزامًا عليه أن يهتدى بهداها، وأن يكون رابط الجأش لا يغضب بسهولة وإذا غضب ففى موقف يكون فيه الغضب هو العلاج كأن يخطئ أحد مساعديه.

**ثالثًا**: أن تكون علاقته مع العاملين معه على الهواء طيبة، وألا يستغل قيادته للموقف، وإنما علاقة الفريق الذى يريد دائمًا أن يحرز الأهداف، وكل عمل من أعمال هذا الفريق له أهميته كعمل المذيع نفسه.

**رابعًا**: أن تكون لديه فكرة عن دقائق العمل الإذاعى، فيجب أن يعرف كيف يُسَجَّل البرنامج والعيوب التى يمكن أن تحدث وكذلك المونتاج، حتى إذا سمع وهو فى فترته الإذاعية بعض هذه العيوب عليه أن يكتبها حتى لا تتكرر مرة أخرى، وأن يعرف كيف ينتقل الصوت والموجات وكيفية عمل آلات البث وكيفية الحكم على الصوت ومتى لا يكون الصوت صالحًا للبث، لأنه فى فترته هو الحكم على كل هذا ولو فاتته بعض العيوب فضح غفلته المستمعون وحوسب عليها أدبيًا قبل الحساب المادى.

**خامسًا**: أن يختار لنفسه طبقة الصوت التى سيخرج بها شخصيته

الإذاعية على الهواء، قالها لى «صبرى سلامة» عملاق الهواء فى إذاعة البرنامج العام ـ ومن أعظم من قال «هنا القاهرة» ـ عندما كان يأتى إلى إدارة التدريب فى الدور الثالث وكنت وقتها فى أولى خطواتى فى الإذاعة، قال: «تحكم فى طبقة الصوت التى تناسبك كمذيع» وعندما يستقر عليها يعمل بها دائمًا ويأخذ شهرته منها إذا أحسن اختيارها وأحسن العمل بها.

**سادسًا:** أن يكون قادرًا على التعامل مع جميع مفردات الأستوديو، كالميكروفون أو الاتصال بالفنى الذى هو قناة خروجه إلى الناس والذى يفصله عنه لوح زجاجى بحيث يرى كل منهما الآخر، وأمامه زر للاتصال بالفنى وهذا يحدث دائمًا طوال فترته الإذاعية حتى يخرج العمل متكاملًا، والزر الآخر لوقف تدفق الصوت فى الميكروفون عند حدوث مفاجأة، كأن يطرق الباب وقت الخروج على الهواء وغيرها من مواقف لابد لمذيع الهواء أن يلم بها.

هذه مقدمة لمواصفات من يرسل صوته مباشرًا على الهواء فى غرفة صغيرة هو فيها الملك، لذلك قيل فى «أدبيات العمل الإذاعى» عن المذيع داخل الأستوديو "The King of The Studio". وها أنا أصبحت بعد رحلة عذاب مذيعًا للهواء ضمن مجموعة من المذيعين هى الأشهر بين كل مذيعى الإذاعة، على اعتبار أن إذاعة القرآن الكريم تحظى بأكبر نسبة استماع إذاعة مصرية بل عربية. ومذيعو إذاعة القرآن تتوافر فيهم هذه الخصائص التى أفردتها، فهى تحظى بأكبر نسبة لحاملى الماجستير والدكتوراه وإن لم يكن فشهادة أخرى بالإضافة إلى الشهادة التى عينوا بها، وكنت أنا من هذه المجموعة.

دخلت إلى هذا المجتمع فقوبلت بالترحيب من معظم الناس ونزلت

على الهواء كمتدرب، وكانت أول فترة لى مع أخى وصديقى الأستاذ «أحمد همام»، هذا الإنسان بكل ماتحمله الكلمة من معان، هذا المذيع اللامع ذو الصوت القوى المتمكن الذى فَتحت له قلوب الناس عالم السياسة فأصبح نائبًا فى مجلس الشعب الأسبق، ومازالت القلوب تحمله إلى مجلس النواب الحالى حَبا واحترامًا وتقديرًا لما يقدمه لهم من إخلاص فى قضاء حاجاتهم.

كانت أول فترة إذاعية لى مع الأستاذ أحمد همام فى أستوديو 18، وكدت وقتها أطير من الفرح، وكان المتعارف عليه وقتها أن تظل تعمل لستة أشهر حتى تنطق بشعار الإذاعة ثم بعبارتين ثم تقدم الأذان وتختمه حتى يستقيم عودك الإذاعى. وكانت اللمبة الحمراء عندما تضىء لها رهبة، فمعنى ذلك أنك وجهًا لوجه مع ملايين تسمعك فى نفس اللحظة وكأنها تراك، لذا ما زلت أحترم جدًّا هذه اللحظة وأستجمع فيها ما عندى من استعداد لكى يصل صوتى نقيًا إلى من يسمعنى فى أى مكان. وفى هذه الفترة كنت حريصًا أشد الحرص على أن ألتقط كالعصفور حبات الخبرة من كل من أعمل معه، وأتأمل كيف يخُرج اللفظ وكيف يُصيغ العبارة وكيف يتصرف فى المواقف الحرجة، وحتى كيف يكتب تقريره عما يكون قد شاب برنامجه من سلبيات.

وكنت أترك نفسى للكبار من الأساتذة فى ذلك الوقت، مثل الدكتور «فوزى خليل» الذى كنت أحرص على أن يسمعنى وأن أقرأ أمامه وأن يصوب مايراه مما أقوله خطأ، وقد كان هو أحد أسباب خفض صوتى عند العمل أمام الميكروفون فى الأستوديو، وأدعى أنى أصبحت ضمن مدرسة فى إذاعة القرآن يمكن أن تُسمى «مدرسة الصوت الهامس

الخفيض المعبر» فى إذاعة القرآن. وكانت فترتى معه حوارًا فى قضية من القضايا حيث كان مثقفًا قارئًا، أهلته شهادته الجامعية فى الاقتصاد والعلوم السياسية لأن يكون أحد المثقفين والمفكرين، وكان أشهر مذيعى إذاعة القرآن الكريم على الإطلاق وصاحب أشهر برنامج وهو «قبس من نور النبوة».

والشخصية الأخرى التى تعلمت منها الالتزام فى الأستوديو والمحافظة دائمًا على الهدوء النفسى عند العمل فى الهواء الدكتور «على طبوشة» ـ رحمه الله ـ ذلك الذى كان يبدو وجهه صارما لكنه كان شخصًا شديد الود عظيم الاحترام لمن يحدثه، وفى نفس الوقت كان إذا أخذ موقفًا من أحد فمن الصعب أن يأتلف معه، ومن حسن حظى أنه كان شديد الود معى، وكان كثيرًا مايفتح معى موضوعات لكى نتحاور فيها طوال الفترة الإذاعية، وكان صاحب برنامج شهير وقتها هو برنامج «سفراء الإسلام». وكذلك الدكتور «عبد الله الخولى» صاحب الصوت الذى يعشقه مستمعو إذاعة القرآن الكريم وصاحب برنامج «بلاغة الرسول». إضافة إلى كثير من الزملاء الذين أحاطونى بسياج من العطف وسوار من المحبة وعقد من الود.

إلا شخصية واحدة! كانت تمثل لى عقبة يمكن أن تجهض ما حققته من أحلامى، وبالرغم من ذلك أعتبره من أَجَلِّ من قدموا لى خدمة لولاها ما كنت فى مكانى هذا ولامكانتى تلك، فهو الذى أدى اعتراضه على أداء عملى إلى أن أبحث عن وسيلة أكون بها أكثر أمانًا داخل أستوديو الهواء، وهو أيضًا من قدمنى عندما أيقن أننى قادر على القيام بعملى على خير وجه، وأصبحت له تلميذًا نجيبًا، بل هو الذى ساعد فى سفرى إلى دبى لنقل أكبر مسابقة للقرآن الكريم فى العالم فماذا حدث.. هذا نقش جديد على حجر من أحجار الحياة.

**إبراهيم مجاهد ومحمد زعتر**

الإذاعى الكبير الأستاذ إبراهيم مجاهد من الإذاعيين الذين تركوا أثرًا ستظل إذاعة القرآن تذكره ما بقيت هذه الإذاعة، فهذا النوع من العاملين فى مجال الإذاعة كان يعلم كل كبيرة وصغيرة فى دولابها، يعرف جميع التلاوات وجميع التسجيلات لكبار المتعاملين مع الإذاعة من كبار المتحدثين ومن ضيوف البرامج ومن القراء على جميع مدارسهم، الأحياء منهم ومن ذهبوا إلى ربهم راضين مرضيين. وكان متخصصًا فى وضع خريطة البرامج والتلاوات ويُعتمد عليه فى ذلك. وهذه المهمة هى من أصعب المهمات فى الإذاعة، لأنها تتطلب إلمامًا بكل ما يحويه أرشيفها، وما تقرر أنه سيذاع من القرآن ونسبته إلى باقى البرامج بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى. وقد كان آخر من يغادر الإذاعة وأول من يأتى إليها، ولا تراه إلا منهمكًا فى عمل. لذلك كله استحق أن يجلس على رئاسة شبكة القرآن بعد التحاقى بها وبعد أن أصبحت أحد أصواتها المعروفة، هذا بالنسبة لدوره فى الإدارة التى كان يجيدها ويبدع فيها.

أما فى مجال الاستراتيجية الإذاعية، فقد كان من أصحاب الاتجاه الإذاعى الكلاسيكى الرصين، الذى يلزم المذيع بألا يخرج عن المألوف من العمل الإذاعى، فعليه مثلًا تنفيذ البرنامج الذى أمامه وليس له أن يزيد من عنده إلا إذا أُمر بذلك، حتى ولو كان هذا الجديد يفيد مَن تصل إليهم الرسالة من خلال الراديو، وهذه مدرسة لها أعمدتها فى إذاعة القرآن الكريم عميدها هو الأستاذ «إبراهيم مجاهد».. وبالنسبة للبرامج، كان هو أيضًا عميدًا لاتجاه مازال موجودًا فى إذاعة القرآن الكريم، وهو

أن يقوم المذيع بتقديم ضيفه وقراءة العنوان الذى سيتحدث فيه أو حوله وفى الختام ينهى بشكر الضيف، هذا الاتجاه كان من رواده مجموعة من المذيعين ومقدمى البرامج وهم الأكثر، بخلاف اتجاه آخر كان له بصمة مع الضيف بحيث يتخذ من الحوار والمناقشة سبيلًا للوصول للمعلومة ومن ميكروفون الهواء سبيلًا للإبداع بقدر ما تسمح به الأعراف الإذاعية لإذاعة القرآن.

والأستاذ «إبراهيم مجاهد» كانت له معى قصة، أعترف قبل أن أحكيها أنه صاحب الفضل فى أن أبحث عن حل جذرى وناجع ومقنع لكل المشاكل التى قد تعترض طريقى فى أن أكون مذيعًا للهواء متمكنًا من كل مفردات الأستوديو التى يستخدمها أى مذيع آخر سليم البدن تمامًا، فقد جعلنى أبحث عن وسيلة أستخدمها بدلًا من اليدين اللتين يستخدمها المذيع العادى، وبفضله أصبحت أول مذيع بهذا الشكل فى العالم يخرج صوته من أستوديو الهواء مباشرة ليصافح آذان الناس فى كل مكان تصل إليه موجات الراديو. فعندما تسلمت العمل لم يكن الأستاذ إبراهيم متحمسًا لى، ولما قُبلت مذيعًا للهواء بامتحان رسمى أعلن عن رفضه الواضح بنظرات عينيه اللتين كانتا يملأهما الشك فى هذا الذى سيعمل مذيعًا وهو بهذا الشكل، وكنت أتجنب أن ألقاه أو أن تأتى عيناى فى الطريق التى تنظر فيه عيناه، ذلك فى الوقت الذى كان فيه الجميع يشجعنى، مما جعلنى أبحث عن حل، وكان ذلك فى فترة إذاعية صباحية جمعتنى به خلال فترة تدريبى، حيث يسمى المذيع الأقدم «سونيور» والمذيع الأحدث «جونيور» حسب العرف الإذاعى.

ففى هذه الفترة سألنى بصراحة سؤالًا استنكاريًا يحمل رفضًا لعملى محملًا بمسحة عطف وشفقة قائلا: لماذا الهواء ولماذا لاتكتفى بالبرامج؟

فقلت: اللجنة وافقت على كونى مذيعًا للهواء.

فسكت لمدة ثم قال لى: وكيف ستتحكم بالزر الخاص بإغلاق الميكروفون وقت الطوارئ والزر الخاص بالتواصل مع الفنى فى غرفة الهندسة الإذاعية؟

فمددت إصبعى يدى الشمال إلى أحد الزرين.

فباغتنى وقتها وقال: لو أنك أردت فى نفس اللحظة محادثة الفنى، فقلت هذا لا يحدث كثيرًا قال: وماذا تفعل إذا حدث؟

فقلت: هذا قليل جدًّا، ووقتها سأتصل بالفنى عن طريق يدى الأخرى.

فنظر إلىَّ وقد استقر على وجهه معنى عدم الرضا.

وقتها آثرت السكوت ولم أجب، لكنى ظللت أبحث عن حل، لابد أن أجد حلًا، وعندما كلمت والدى فى هذا الأمر أخذ يذكرنى بما حدث قبل ذلك وكيف تغلبت عليه، وأخذ يحثنى أن أبحث عن حل. بعد عدة أيام هدانى الله أن أذهب إلى هذا الرجل ذو البسمة التى تعلن عن طيبة قلبه والتى ترتسم على محياه الأبيض الجميل وذو القامة الممشوقة والصدر المفرود الذى يشى بالكرامة التى يتحلى بها الإنسان حين يكون متصالحًا مع نفسه ومع الناس، هذا وصف المهندس «محمد زعتر» الذى كان يشغل وقتها مدير التشغيل، أى المسئول هندسيًا عن أستديوهات الهواء، دخلت عليه وكان يعرفنى شكلًا ويعرف أننى مذيع جديد فى أستوديو إذاعة القرآن الكريم فقابلنى بابتسامته التى ملأت وجهه فشجعتنى على الكلام، قلت له هل من الممكن أن أجعل الزر الخاص بإلغاء الميكروفون تحت قدمى بحيث أتحكم فيه كما يتحكم المذيع العادى، والزر الخاص

بالتواصل مع الفنى فى غرفته بجانب إحدى ركبتى، وبذلك أتحكم فى هذين الزرين ومن ثم أصبح بجميع الإمكانيات الخاصة بأى زميل آخر، فسكت هنيهة ثم قال بعد أن علت وجهه جدية توحى بالتفكير والبحث عن حل وقال: يمكن عمل ذلك لكن بعد موافقة الأستاذ «محمد الشناوى» رئيس الشبكة، فكلمت فى هذا أستاذى الأستاذ «عبد القادر الزنفلى» ـ رحمه الله ـ فدخل معى وحصلنا على الورقة التى تفيد بألا مانع من عمل هذا التدخل الهندسى.

طرت بالورقة إلى المهندس «زعتر» الذى سلمها بدوره إلى صيانة الإذاعة ثم لهذا الفنى المسيحى الذى كان شديد الأدب معى وكان حريصًا على أن ينفذ مهمته على أكمل وجه وأحسن صورة وأتم حال، فقد استطاع الأستاذ «أنور» أن يجعل الزر الخاص بإغلاق الميكروفون فى علبة من الخشب صغيرة لكى أضع عليها كف رجلى الشمال ومن وسط هذه العلبة الخشبية يخرج زر التحكم فى الميكروفون، فصرت أتحكم فيه بدرجة أسرع من أى زميل آخر لأن رجلى تكون أسرع من سرعة اليد فى تدارك الموقف عند الطوارئ فى أستوديو الهواء. كما جعل الأستاذ أنور الزر الخاص بالتواصل مع الفنى عند ركبتى اليمنى بحيث تكون السرعة فى الاتصال بالزميل الفنى لاتقل عن سرعة اتصال أى زميل آخر. ظللت كلما رأيت الأخ الكريم «الأستاذ أنور» شكرته على هذا الإنجاز الذى جعلنى أكثر تحكمًا فى الأستوديو من زميل له أربع أذرع وليس ذراعين فحسب!! والذى جعل «الأستاذ عبد القادر الزنفلى» ينادى على الأستاذ «إبراهيم مجاهد» ويقول له أمام الناس جميعًا: «تعال يا إبراهيم شوف رضا يقدر دلوقتى يتحكم فى الأستوديو أكثر من أى مذيع آخر»، فضحك وقال: هذا ما أردته وضحكنا جميعًا.

وقد وثق الأستاذ إبراهيم مجاهد فى كمذيع هواء بعد ذلك ثقة كبيرة، فكان أول من أعطانى فترة إذاعية وحدى ثقة منه فى قدراتى بعد أن تهيأ لى أستوديو الهواء.

وظللت أضع رجلى على هذه العلبة الخشبية أحافظ بها على قدسية أستوديو الهواء أكثر من ربع قرن، أرسل صوتى بشعار «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة» سألقى به ربى شاكرًا على أن أجرى على نبراته معان هى أعظم المعانى وأطيبها، وشاكرًا على أن الآن القلوب لكى تيسر لى هذه المهمة المقدسة فى خدمة كتاب الله.

ولى مع الأستاذ إبراهيم مجاهد قصة أخرى هى التى فتحت الباب لنقل الإذاعات الخارجية التى ننقلها من المساجد الكبرى على الهواء، وهى إحدى الصور الإذاعية التى يجب أن يكون المذيع متقنًا لها باعتبارها فنًا خاصًا بذاته، إذ يستطيع المذيع أن يجعل المستمع يرى كل تفاصيل المكان من خلال وصف شائق وممتع ووافى وكأن المستمع يجلس فى المكان، فلما جاء دورى لم يسمح لى الأستاذ إبراهيم بل وقدم علىَّ من هو أحدث منى، فاعترضت عند الأستاذ سيد شرف وكان وقتها مدير إدارة المذيعين فى حين كان الأستاذ إبراهيم مجاهد المسئول عن جدول المذيعين وعن الإذاعات الخارجية، فسأله الأستاذ سيد شرف عن سبب رفضه فأبدى أسبابًا من وجهة نظره وجيهة، فقال إن الإذاعة الخارجية أمر خطير وكيف سيدافع عن نفسه إذا جاء من يعتدى عليه، فرددت أنه لم يحدث أى اعتداء على أى مذيع فى أى إذاعة خارجية قبل ذلك، وعمومًا لو حدث اعتداء سأدافع عن نفسى كما يدافع أى مذيع عن نفسه فأنا لست هملًا، فقال: كيف سيمسك الميكروفون فنظر إلىَّ الأستاذ سيد

شرف، فأمسكت بالقلم وقلت كما أمسك بهذا القلم فرد الأستاذ إبراهيم وقال لى: «أنت عنيد فنظرت إليه نظرة تثبت ما قاله وكأنى أقول بعينى ما لم أستطع أن أقوله بلسانى. وخرجت من الإذاعة فى هذا اليوم متوجهًا إلى سوق العتبة واشتريت قاعدة بعمود صغير لكى تحمل الميكروفون فى الإذاعة الخارجية لكى أسد الثغرات التى ينفذ إليها لرفض تنفيذى للإذاعات الخارجية، وفوجئ الأستاذ سيد شرف والأستاذ إبراهيم مجاهد بهذا العامود الذى جعله يرضخ أخيرًا ويسمح بأن يخرج صوتى فى الإذاعات الخارجية فى مساجد مصر الكبرى، يصف فيها على مدى أكثر من ربع قرن ما يرى قلبى وما يعاينه عقلى وما تشدو به روحى، أصبه صبًا وافيًا فى آذان مستمعى الكرام.

### فرحة الميكروفون وزلزال 92

هذه الحديدة العجيبة المعروفة بالميكروفون! تكون مستقرة على منضدة خشبية نسميها نحن الإذاعيون «الديسك» تكون مغطاه بطبقة من الإسفنج الخفيف الذى تلفه قطعة من الجلد حتى لا تصدر حركة الميكروفون على الديسك صوتًا. والجالس على المقعد أمام الميكروفون هو مذيع الفترة المكلف بتنفيذها على الهواء، وتكون أمامه لمبة حمراء تضىء حين «يعطيه» الفنى الميكروفون لكى يؤدى عمله فى البيان عما يريد توصيله للناس. وهذه الحديدة ذات الرأس الحساس الذى يستقبل الصوت على بعد نصف المتر تحوله إلى موجات تنقلها التكنولوجيا إلى آذان المستمعين فى كل مكان. ويفصل المذيع فى غرفته المعزولة لوح من الزجاج عن غرفة الهندسة الإذاعية التى توجد بها أجهزة تشغيل المواد

الإذاعية، ويقف على هذه الأجهزة فنى مدرب على تشغيلها والتعامل معها، ويكون الاتصال دائم بين الفنى والمذيع، فكل واحد منهما أمامه نفس البرنامج الذى ينفذه المذيع صوتيًا وينفذه الفنى هندسيًا، فكل برنامج له موعد ومدة ينبغى الالتزام بهما، بالإضافة إلى المواد المباشرة على الهواء كالنشرة الإخبارية أو الأذان لكل صلاة، ولابد أن يكون هناك انسجام تام بين المذيع والفنى لأن ذلك هو قوام العمل الإذاعى الناجح.

هذا مافهمته فى بداية عملى فى أستوديو الهواء بعد أن أصبحت واثقًا تمام الثقة فى نفسى، بعد أن تحكمت فى الميكروفون تمامًا وبعد أن أصبحت متواصلًا مع الفنى الذى أعمل معه، وفتح لى أستوديو الهواء بابه على مصراعيه حيث كنت أنفذ ست فترات أسبوعيًا فى أوقات مختلفة، فيمكن أن أعمل فى الصباح ويمكن أن أعمل فى المساء ويمكن أن أختم الإذاعة أو أبدأها، وكنا فى هذا الوقت نختم الإذاعة الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل ثم نعود فنفتح أبوابها على آذان مستمعينا على النقل لصلاة الفجر.

ولعملى المتواصل بدأ صوتى يصبح مألوفًا، وبدأت أبحث لنفسى عن طبقة للصوت تمثل شخصيتى الإذاعية التى أحب أن يعرفنى الناس بها، والتى تكون بصمة واضحة لمن يستمع إلىَّ. عثرت على بغيتى بصوت من «منطقة القرار» قويًا هادئًا ورصينًا ولاتعلو فيه نبرات الصوت، فعندما تعلو نبرات صوتى ويخرج عن منطقة القرار يختلف الأداء وأحس أن الذى يتكلم ليس أنا، لذا تدربت على هذه الطبقة حتى أصبحت علامة على شخصى عندما أنطق بشعار الإذاعة «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة» محملًا بما فى نفسى من شعور بمسئولية التوصيل لكل من يسمعنى وشعور بالود أشحن به نبرات الصوت، حتى أن أحد المتعاملين مع الإذاعة وكان

مبتهلًا كبيرًا خبيرًا بالأصوات قال لى: «أحس عندما أسمع صوتك أنك بتطبطب على المستمع وأنت بتتكلم». نعم هذا شعورى وهذا ما يجب أن يكون بين المذيع وبين المستمع، أن يكون حريصًا فى مهارة واحترام وحب على توصيل رسالته، بالإضافة إلى أن الشعار نفسه يحمل مفهوم الدعوة إلى الإسلام لأنه يشير إلى كتاب الإسلام المقدس القرآن الكريم، وأحس أيضًا أنها منة من الله وإن لم تكن مخلصًا فيها فلن تصل إلى قلوب الناس، لذلك كان الشعار شرف لى ولكل زملائى.

كنت سعيدًا جدًّا فى هذه الفترة، وكان بعض زملائى عندما أستلم منهم الفترة أو أسلمهم يتركون لى الميكروفون جزءً من فترتهم فرحًا بى وإشادة بعملى ومجاملة رقيقة منهم، لقد أحاطونى بود ليس له مثيل وفتحت لى قلوبهم. ومن ذلك الود والثقة أن الإذاعى الكبير الراحل «رياض فهمى» ـ صاحب الصوت المتفرد وكأنه يأتى من فضاء روحى شفاف ـ كان على موعد سفر فى عمل إلى السعودية، قبل أن يسافر طلبنى وقال إن برنامجه «مساجد لها تاريخ» من البرامج ذات الشعبية وإنه يعرض علىَّ تقديمه بعد سفره، وهذا البرنامج كان له أكبر الأثر فى تعريف الناس بى حيث كان يذاع أربع مرات فى الأسبوع.. ذلك بالإضافة إلى الكبار من المذيعين القدامى وقتها، كالدكتور «فوزى خليل» الذى أدرك بثقافته الإذاعية أننى قد عثرت على طبقة الصوت المناسبة للهواء وكان دائمًا ما يثنى عليها، وكذلك الدكتور «على طبوشة» الذى كان يترك لى الفترة كاملة وينظر إلىَّ وأنا أرسل صوتى للميكروفون وهو يبدو مستمتعًا، ولعله كان يجاملنى كرمًا منه وفضلًا أحمله له فوق رأسى وأرده له دعاء له فى مثواه عند ربه.

وكان لى زميل صوته قويًا معبرًا يحمل قدرًا من الجدية، وفى نفس الوقت المرونة التى تجعله يأخذ آذان مستمعيه إعجابًا، وهو الأستاذ «عبد الستار محفوظ» الذى كان شخصية ذكية وغنية بالتطلع والطموح والنظر إلى المستقبل بالعمل الجاد المخلص، مما جعله يدخل امتحانًا أجرته الأمم المتحدة فى مصر للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، فإذا به يتفوق على أساتذة فى كلية الآداب قسم إنجليزى وهو الحاصل على كلية التجارة، لكنه أتقن كل ما يتعلق باللغة الإنجليزية، فغادرنا وأصبح الآن من كبار مترجمى الأمم المتحدة فى نيويورك. كان هذا الشاب وقتها يحبنى جدًّا وكنت أستمتع بالعمل معه وكنت أنظر إليه عندما ينطق الكلمة وتعلمت منه الكثير.

وكان أحد المذيعين الرائعين يحمل اسم رضا، وهو الزميل ذو الأدب العالى المتفق على أخلاقه وأستاذيته الأستاذ «رضا خفاجى»، وكانت أحيانًا تجمعنا فترة واحدة على الهواء فكانت تسمى «فترة الرضاءان» وكنت أقدم الفترة كالعرف الإذاعى المعروف وأقول «ومعكم من أسرة المذيعين رضا خفاجى ورضا عبد السلام» فأصبحت مما يتندر به مستمعونا.

وفى هذا الوقت كنت أسافر من قريتى فى قويسنا إلى القاهرة، وفى فترات العمل الليلية كنت أضطر للمبيت فى القاهرة فى شقة حجزها صديق العمر وزميلى الذى دخل معى فى نفس الوقت فى أستوديو الهواء «عبد المنعم أبو السعود»، تقع هذه الشقة فى شارع أبناء سوهاج فى الطالبية بالهرم، وكان يأتى إليها الوافدون من أقاربه وزملائه تحت التدريب وقتها، فكانت تعج بكل هؤلاء. وأذكر أن سيارة الإذاعة كانت

تقلنا بعد فترة الختام التى تبدأ فى التاسعة وتختم الإذاعة فى منتصف الليل، قبل أن تصبح الإذاعة أربعًا وعشرين ساعة، كنا نرى القاهرة فى هذا الوقت من الليل بأنوارها وأشعة هذه الأنوار وهى ترتمى على صفحة نيل مصر العظيم لترسم صورة رائعة لمن أراد أن يشفى روحه ونفسه بالجمال، كذلك كان منظر الشوارع الهادئة التى تنطلق فيها السيارة بسرعة البرق بديعًا، ويكون أبدع عندما تأتى السيارة لتأخذنا فى الثانية بعد منتصف الليل لنفتتح الإذاعة. وكان على ناصية الشارع أسطى «حسن» صاحب محل الكاوتشوك الذى كان لايعمل إلا ليلًا، هذا الشاب الذى كان يعشق الإذاعة ونبتت بيننا وبينه صداقة كانت كفيلة بأن يستضيف السائق على كوب من الشاى حتى ننزل إليه. وكانت السيارة تسلك شارع الطالبية، فنرى أمامنا شارع الهرم بصخبه الليلى الآثم فتطويه السيارة طيًا، ثم نمر على منطقة الدقى حيث الهدوء الثرى الناعم، ونمر بعد ذلك على كوبرى قصر النيل لنلقى تحية الصباح على نعمة الله الكبرى هبة الله لمصر «النيل العظيم» ثم نجلس لنقول «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة» ونبدأ البث.

وأذكر فى هذه الأيام أننا كنا نفعل كل شىء؛ كنت أقدم برنامج «مساجد لها تاريخ» وفترة إذاعية يومية ويمكن أن تكون فترتين إذا اعتذر الزميل الذى يتسلم منى، وكانت تحدث أحيانًا إضافة فقرة لعرض البرامج كنت كثيرًا ما أقوم بتسجيلها. وكنت على اتصال دائم بالأهل والوالد خاصة عن طريق التليفون الأرضى الذى كان الوسيلة الوحيدة وقتها.

وفى خضم هذا الزخم الذى لاينتهى وفرحتى به، لم أتصل بالبيت لمدة ثلاثة أيام ولم يستطيعوا الوصول إلىَّ حتى فى اليوم الرابع، وكان

عندى فترة الضحى التى تبدأ فى الحادية عشرة صباحا، وأثناءها وجدت الفنى يبلغنى أن أحدًا يسأل عَلَىَّ فى الاستعلامات، فعجبت ورفعت سماعة التليفون وقلت: آلو، فوجدت على الجانب الآخر صوت والدى يأتينى: «إيه يابنى أنت فين وحشتنا»، كانت مفاجأة، فتركت الأستوديو لزميلى فى الفترة وقفزت على السلم حتى وصلت إلى صالة الاستعلامات المكتظة بالناس، لأجد أبى بجلبابه الأبيض الذى يبدو منه رأسه كملاك فى صورة البشر وبجانبه أخى حسن، فارتميت على صدر أبى، وكعادته أخذنى بين ذراعيه وأحسست وقتها كأننى مازلت طفلًا أحتاج إلى هذا الحضن الذى يُشعرنى بالأمان وسلمت على أخى، وتعلمت ألا أنسى أبدًا قلب أبى الذى يريد دائمًا أن يطمئن علىَّ.

وفى يوم 13 أكتوبر عام 1992 كان عندى فترة الظهيرة التى تبدأ من الثانية ظهرًا وتنتهى فى الخامسة قبل المغرب، وكان العصر يؤذن له فى الثالثة إلا بضع دقائق، فجلست أمام الميكروفون وقدمت الأذان وختمته وقدمت القرآن الذى يُتلى بعد أذان العصر، وخلعت الشراب وذهبت للوضوء استعدادًا للصلاة، كان يجلس معى فى الأستوديو زميلان وفى الاستراحة الملحقة بالأستوديو كان يجلس مجموعة من الزملاء، وبدأنا نتجهز للصلاة أثناء التلاوة التى تستمر لنصف ساعة نعود بعدها لمواصلة العمل أمام الميكروفون.

وأثناء دخولى من باب الأستوديو وكنت واقفًا وبجانبى زميل يستند إلى الحائط مقابل الباب، فإذا بالأرض تهتز وإذا بالزميل المستند إلى الحائط يفتح فاه ويقول ـ وقد امتلأت عيناه بالفزع ووجهه بالتوتر ـ «زلزال زلزال» فانتبهنا، وفى نفس اللحظة سمعنا صراخًا يصدر من

كل مكان حولنا، فى الطرقة القريبة وفى أستوديو التسجيلات الخاص بإذاعة الشباب والرياضة، ووجدنا أنفسنا فى هذه اللحظة نمسك ببعضنا البعض وأخذنا نطلق الشهادتين، واستمر الزلزال لمدة لاتقل عن دقيقة ونصف أو دقيقتين، وتحول المبنى كله إلى حالة من الهلع والخوف، وخرجت إلى الطرقة الطويلة فرأيت كثيرًا من الناس خاصة السيدات قد أغمى عليهم، والناس كل واحد يجرى يريد أن ينجو بنفسه، ورجعت إلى الأستوديو الذى لا أستطيع أن أغادره.

وبعد أن أنهيت من فترتى خرجت إلى ميدان التحرير، فوجدت كثيرًا من الناس فى الميدان وقد ملك عليهم الخوف أنفسهم، كان يومًا لا أنساه حيث وجدت وجوه الناس فى شدة الخوف ورأيت كثيرًا منهم وقد أخذوا أسرهم بعيدًا عن بيوتهم خوفًا مما أُطلق عليه وقتها «توابع الزلزال». وكانت نتيجة هذا الزلزال كبيرة حيث لقى حتفه من جراءه حوالى ثلاثمائة وسبعين شخصًا وأصيب أكثر من ثلاثة آلاف آخرين وتهدم الكثير من بيوت المساكين وخاصة فى الأحياء القديمة كمصر القديمة وبولاق أبو العلا التى تقع خلف مبنى التليفزيون. كانت هذه الحادثة مما حُفر بعمق فى ذاكرتى، عندما يستولى الخوف على قلوب الناس ويظهر فى وجوههم فترى هذه الوجوه ذاهلة تدعو الله أن يرفع مقته وغضبه عن عباده المساكين.

### برامج ومواقف

فى هذا الوقت المبكر من علاقتى بالميكروفون من أستوديو الهواء، حيث فترة يومية لمدة أربع ساعات وقَلَّت بعد ذلك إلى ثلاث ساعات،

حتى يستطيع المذيع أن يلم بكل أطراف العمل من حيث تقديم الفترات بمهنية وحرفية وحتى يبدو مرتاحًا ليست عليه أية ضغوط، خصوصًا أن هذه الحديدة المثبتة أمامه! لاتنقل الصوت فقط وإنما تنقل الإحساس والمشاعر ومن خلال ذلك تنقل شخصية المذيع، فى هذا الوقت فكرت فى أن أقدم برنامجًا يحمل فكرة خاصة بى أستطيع من خلاله أن أقدم لونًا من الألوان الإذاعية التى تحمل فكرى وتحمل رؤيتى الخاصة، خصوصًا أن البرامج التى نقدمها فى إذاعة القرآن الكريم تدور كلها حول القرآن بعلومه الكثيرة أو حول السنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى. وفى هذه الفترة أعطانى الأستاذ «رياض فهمى» برنامجه «مساجد لها تاريخ» الذى كان يقدمه قبل سفره فزرت من خلاله ـ على الورق ـ جميع مساجد مصر والعالم الإسلامى الشهيرة، وهذا البرنامج لم يكن فكرتى ولا سعيت إليه لكنى استمتعت بالعمل فيه، حيث كان البرنامج يتعرض للمسجد من حيث إنشائه ومن والذى أنشأه وعمارته وما به من زينة وما به من فنون إسلامية أبدعها الفنان المسلم.

وقد شدت انتباهى من العصر العثمانى شخصية الأمير «عبد الرحمن كتخدا» الذى بنى كثيرًا من مشاهد ومساجد أهل البيت فى مدينة القاهرة. دعنا قارئى الكريم نغادر بعض الوقت حجرات وطرقات ماسبيرو، بمتعها ومشاكلها، لنحيا قليلًا مع هذه الشخصية العظيمة التى أعجبتى كثيرًا وتركت بصمتها فى مسيرتى بالرغم من بُعد الزمان بيننا، ولتكن هذه الوقفة من خلال ما كتبه عنه الدكتور «عبد الرحمن زكى» فى كتابه «بناة مصر من ألف عام» فقال:

«عبد الرحمن كتخدا بَنَّاء عظيم عالى الهمة فى أيام العثمانيين، يعتبر فى

مقدمة الساعين فى تجميل القاهرة وترصيعها بمبانيه. كان صاحب نفوذ قبل أيام على بك الكبير، وقد ورث عبد الرحمن ميوله الفنية عن أبيه الذى استطاع أن يشيد بها جمعه من ثروة مدرسة ومسجدًا وسبيلًا بالقرب من بركة الأزبكية، وفى يوم افتتاحها ملأ حوضًا كبيرًا وكل ما وصلت إليه يده من الأوانى بالشراب المحلى بالسكر ليسقى الأهالى. وبنى منشآت خيرية أخرى.

كان الأمير عبد الرحمن «كتخدا مصر» (محافظًا لها) فى عام 1744 وقد عشق البناء، فأنشأ وجدد كثيرًا من المساجد والأسبلة والأضرحة. وقد اشتهر عبد الرحمن بما أدخله من زيادات فى الجانب الشرقى من الأزهر، ومن بينها ضريحه الخاص وجزء من المدخل وخمسون عمودًا من رواق القبلة ومنبر ومحراب جديدان وشيد مئذنتين وبابى الشوربة والصعايدة.

جمع عبد الرحمن كتخدا فى أكثر مبانيه بين الجمال والفن، ويتجلى ذلك فى سبيله الرائع الواقع عند ملتقى شارعى النحاسين والجمالية والمعروف باسمه حتى اليوم. ولهذا السبيل ثلاث واجهات بها ثلاث فتحات عقودها من الرخام الملون و«تواشيحها» من الرخام الدقيق، موضوع عليها شبابيك نحاسية، ويعلو السبيل كتاب ذو مظلات وحواجز من خشب الخرط. ويتضمن السبيل كتابات تحتوى على اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء (1157هـ/ 1744)، أما حجرة السبيل فقد غشيت جدرانها بالقاشانى، وعلى جزء من جداره الشرقى رسم صورة الكعبة الشريفة.

وأنشأ الأمير عبد الرحمن عند باب الفتوح مسجدًا وصهريجًا وكُتَّابًا، وفى مدخل الأزهر أعاد بناء المدرسة الطبرسية وجعلها مع مدرسة الأقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير من أحسن المبانى فخامة

وبهاءً، كما أنه بنى المشهد الحسينى، وأنشأ عند باب البرقية المعروف بالغريب مسجدًا وصهريجًا وحوضًا وسقايةً ومكتبًا، وشيد مسجدًا بجهة الأزبكية ومكتبًا وحوضًا. وبنى مشهد السيدة زينب، ومشهد السيدة سكينة والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة والسيدة فاطمة والسيدة رقية وعَمَّر المدرسة السيوفية كما جدد المارستان المنصورى، وغير ذلك من المساجد والأسبلة.

ومن أجمل عمائره ـ دار سكنه بحارة عابدين، وكانت من الدور العظيمة المحكمة الإتقان والبناء، لم تماثلها دار بمصر فى حسنها وزخرف مجالسها وبابها من النقوش والرخام والقاشانى، وغرس بها بستانًا بديعًا بداخله قاعة متسعة بوسطها نافورة مفروشة بالرخام. وموجز القول أن عدد المساجد التى بناها أو جددها عبد الرحمن كتخدا بلغ ثمانية عشر مسجدًا، يضاف إليها الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والقناطر.. إلخ.

عظم شأن عبد الرحمن حتى استفحل أمر على بك الكبير، فأخرجه منفيًا إلى الحجاز وذلك فى أول ذى القعدة عام 1178هـ (1764) فأقام بالحجاز اثنتى عشرة سنة حتى أحضره يوسف بك أمير الحج فى عام 1190هـ (1776) بعد أن استولى عليه الهِرَم، فدخل إلى بيته مريضًا، فأقام فيه أحد عشر يومًا ثم مات، ودفن بالمدفن الذى أعده لجثمانه بجوار باب الصعايدة بالأزهر».

كان هذا أحد الأمثلة الرائعة فى برنامج «مساجد لها تاريخ» الذى أضاء لمستمعينا جانبًا رائعًا من حضارتنا الإسلامية، حين تتعانق العقيدة مع العبادات مع الفن الإسلامى فى المسجد، وتبدو فلسفة العمارة الإسلامية فى الحوائط والقباب والمآذن التى شيدها وأقامها وزينها وجملها هؤلاء

البنائون العظام فى تاريخ مصر، كهذا المعمارى البارع عبد الرحمن كتخدا. وهذا ما جعل الفيلسوف والمفكر الفرنسى «روجيه جارودى» فى تقديمه لكتابه «حوار الحضارات» يقول: إنه من أسمى الصور التى وعاها عبر سفره فى مختلف أرجاء العالم، تلك الصور المضمخة بعبق الروحانية، مثل صور مساجد أحمد بن طولون والأزهر، ومسجد بيبى خاتون فى سمرقند الذى أراد تيمورلنك أن يجعله أعظم معابد الدنيا، ومئذنة سامراء الملوية فى العراق والمسجد الجامع ومسجد عباس فى أصفهان. ويقول جارودى: إن كل الفنون فى البلاد الإسلامية تؤدى إلى المسجد، والمسجد إلى الصلاة.

وأكثر ماكان يجهدنى فى هذا البرنامج طريقة كتابته، حيث كان من يكتبه ينقل من المصادر دون استيعاب لما يكتب، مما دعانى وقتها إلى البحث عن المصادر، فحصلت على الكتاب العمدة فى هذا الشأن وهو موسوعة «موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» لعميدة كلية الآثار الدكتورة سعاد ماهر التى تعتبر خبيرة فى العمارة الإسلامية، والكتاب كان خير شاهد على ذلك، وقد كنت أرجع إليه دائمًا لأصحح ما كتبه كُتاب البرنامج، وكثيرًا ما كان يحتاج الأمر أن أعيد كتابة الحلقات مرة أخرى.

لذا فإن هذا البرنامج هو الذى عرف المستمعين لإذاعة القرآن بى جيدًا، لأن البرنامج هو الذى يصنع الشهرة والانتشار وليس العمل مذيعًا فى الهواء، لأن البرنامج له موعد محدد وله من ينتظره وله فكرته التى يرتبط بها المستمعون، أما الهواء فليس فيه هذه الميزات والخصائص، فالمذيع ابن فترته التى ينفذها فقط ثم يغدو.. صحيح أن الهواء يُكسب

المذيع الحساسية اللازمة للتعامل مع الميكروفون ويجعله أقدر على التعامل مع المواقف، لكن يبقى البرنامج هو مجال الإبداع الإذاعى.

وبعد فترة مع برنامج «مساجد لها تاريخ» قدمت فكرة لبرنامج يتحدث عن السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى لهذه الفترة المهمة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، مضمونه عرض سيرة النبى ﷺ بداية من مولده والفترة التى نشأ فيها ﷺ فى مكة طوال أربعين سنة ثم بعثته، والفترة المكية والفترة المدنية ما تشتمل عليه من مواقف وأحداث، وحياته ﷺ فى جميع مراحلها، والفترة التى عاشها معهم فى الجاهلية والقيم السائدة فيها، وماذا حدث بعد أن جاء الإسلام وكيف غير هذه المجتمعات، والغزوات والمعارك وأسبابها ونتائجها.. هكذا كانت الفكرة التى عرضتها وبينت أنها ستكون حديثًا مباشرًا لمدة خمس دقائق يوميًا، ووافقت عليه الإدارة، واخترنا له اسم «قطوف من السيرة». وفى هذه الأيام كان لابد أن يقدم البرنامج اليومى اثنان من المذيعين أو مقدمى البرامج، فسعدت بأن أكون مع الأستاذ «عبد القادر الزنفلى» صاحب المواقف المضيئة فى مسيرتى الإذاعية، فكنا نتشارك فى تقديم البرنامج وكنت أكتب خمس عشرة حلقة كل شهر.

خلال الإعداد للبرنامج استمتعت بالمصادر التى كنت أقرأها وأعرض منها أحداث السيرة النبوية، فجمعت تقريبًا أهم الكتب التى تحدثت عن سيرة الرسول ﷺ منها ما قرأته من قبل، وهو كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى، رحمه الله، والذى نقلت عنه هذه الفقرة المعبرة فى بداية حلقات البرنامج: «إن المسلم الذى لا يعيش الرسول فى ضميره ولا تتبعه بصيرته فى عمله وتفكيره لا يغنى عنه أبدًا أن يحرك لسانه بمائة ألف صلاة

فى اليوم والليلة» ويتميز كتاب الشيخ الغزالى بالمزج بين المواقف التى مرت فى السيرة وما هو كائن فى عصرنا الحديث. وكذلك كتاب الدكتور «محمد رمضان البوطى» الذى كان يعرض الرواية من روايات السيرة ثم يحلل المواقف تحليلًا وافيًا مبسطًا بقدر ما تحتمل الرواية، وكنت أختار منها ما يناسب لعرضه بشىء من التصرف حتى يناسب المستمعين فى الإذاعة التى تعتمد على التخيل. وكذلك الموسوعة الرائعة الوافية «محمد رسول الله منهج ورسالة» للعلامة الكبير «محمد الصادق عرجون» الذى تناول فى استقصاء رائع ووافى حياة الرسول ﷺ وكان أسلوبه يناسب العرض فى الإذاعة. ذلك بالإضافة إلى اعتمادى على المصادر التاريخية الرئيسية (ككتاب «الطبرى» تاريخ الأمم والملوك، وتاريخ «ابن كثير» البداية والنهاية وتاريخ «ابن خلدون» بمنهجه المختلف عن الكتابين السابقين. وهكذا ظللت مع هذا البرنامج عدة سنوات حاز فيها شهرة واسعة فى أرجاء مصر، وكان يذاع قبل صلاة الظهر مباشرة بتتره المشهور (أى بمقدمة البرنامج) التى كان يقول فيها الشيخ سيد النقشبندى بصوته الملائكى الجميل:

بسم الله مولانا
بنت وهب أنجبت ولدًا
فكان خير خلق الله إنسانًا

قدمت بعد ذلك برنامج «مع الصحابة»، ولم تكن فكرتى، وإنما أرادت الإدارة وقتها أن توزع بعض البرامج التى تحتاجها الإذاعة على من تتوسم فيهم أن يقدموها بشكل يفيد المستمعين، فكان هذا البرنامج الذى ألقوه فى حجرى فسعدت به كثيرًا وفكرت ما هو الجديد

الذى يضيفه برنامج يتحدث عن الصحابة؟. وكان أحد الزملاء قبل بضعة سنوات قد قدم نفس الفكرة بطريقة تقليدية، حيث كان يُعَرِّف بالصحابى ومتى ولد ومتى أسلم وبلاؤه فى الدعوة ومتى لقى ربه كل ذلك فى حلقة واحدة. لكنى فكرت فى أن يكون التناول مختلفًا تمامًا، حيث نختار مجموعة من الضيوف المتخصصين فى التاريخ الإسلامى الذين لهم صلة بالدعوة الإسلامية، بحيث يحدثنا الضيف عن حياة الصحابى من مختلف الوجوه؛ كونه قائدًا أو فارسًا أو فقيهًا أو معلمًا وماهى إسهاماته فى مجاله الذى نبغ فيه. وإذا كان هذا التناول صعبًا فإن الضيوف كانوا أعلامًا فى هذا المجال، على رأسهم الأستاذ الدكتور «عبد الشافى محمد عبد اللطيف» الذى أبدع فى هذا التناول الجديد تمامًا لشخصية الصحابة.

وأذكر أننا سجلنا فى شخصية سيدنا أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ حوالى خمسين حلقة، كل منها عشر دقائق، عرف الناس فيها أبى بكر القائد لدولة ما بعد الرسول وكيف حافظ عليها، وأثبت فى حروب الردة أنه كان على دراية كاملة بجغرافية الجزيرة العربية لأنه أرسل إلى كل مكان فى الجزيرة العربية جيشًا، فبلغت وقتها أحد عشر جيشًا، وقضى على الردة والمرتدين بأسلوب خلط فيه بين السياسى والعسكرى. كما تعرضت الحلقات لوصيته التى وصى فيها يزيد بن أبى سفيان بالالتزام بأهداف وأخلاق الحرب فى الإسلام. وبذلك أضافت الحلقات إلى شخصية أبى بكر أبعادًا لم أجدها فى كتاب آخر، اللهم إلا كتاب الدكتور «محمد حسين هيكل» «الصديق أبو بكر» الذى أسهب فيه الرجل فى كل تفاصيل شخصية الصديق أبى بكر.

وفى شخصية سيدنا على، أبان الأستاذ الدكتور «عبد الشافى عبد اللطيف» بالوقائع والشواهد ـ التى كانت طيعة عنده ـ فلسفة سياسة الإمام فى المال العام وكيف حافظ عليه، وكيف أن هذه السياسة جعلت بنى هاشم تثور عليه وكانت سببًا فى بعض المشاكل فى الوقت الذى كان عنده مشاكل كثيرة متعلقة بمقتل سيدنا عثمان، ومع ذلك ضرب المثل فى كيفية المحافظة على المال العام. وفى حديثه عن «خالد بن الوليد» عرضت الحلقات شهادات العسكريين العالميين الذين أشادوا بخالد فى معارك الصحراء، واستشهدت بكتاب اللواء «محمود شيت خطاب» الذى كتب كتابًا عن خالد بن الوليد كأحد أعظم العسكريين فى تاريخ البشرية.. وكان من ضيوف البرنامج الآخرين الدكتور «محمد عبد العليم العدوى» ـ رحمه الله ـ الذى كان مهتمًا بالتاريخ الإسلامى من حيث القيم التى يجب أن تُستلهم منه فى سبيل إصلاح حياتنا المعاصرة. وأيضًا الدكتور «مصطفى عبد المجيد» الذى اهتم بالصحابة من وجهة النظر التى تبحث عما فى هؤلاء من خصال لكى يغيروا وجه العالم فى سنوات قليلة..

ثم قدمت برنامجى الذى أقدمه منذ حوالى أربع سنوات وهو برنامج «سيرة ومسيرة»، هذا البرنامج الذى نستضيف فيه الأعلام فى جميع المجالات الفكرية والعلمية والفنية التى تتفق مع فلسفة إذاعة متخصصة فى عرض الإسلام بمقرراته وقيمه، فكان هذا البرنامج نافذة واسعة لمجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين والمبدعين.. وسوف أعرض فى الباب الأخير الذى خصصته للفكر فى حياتى من هذه السيرة للشخصيات التى تأثرت بها وتأثر بها المستمعون من ضيوف هذا البرنامج.

ومن الألوان الإذاعية التى شاركت فيها وأصبحت أحد نجومها،

هذا اللقاء المباشر مع المستمعين، حيث الميكروفون أمامى والناس شهود فى المسجد سواء كان على الهواء أو كان مسجلًا، ويكون معى فريق عمل مكون من صوت شجى من الأصوات التى تنقل القرآن الكريم مشخصًا بمبناه ومعناه، وهذا الصوت يكون من أحد مشاهير القراء فى مصر أو على الأقل مجازًا من لجنة القراء التى تختبر هذه الأصوات وتفرزهم لتخرج إلى العالم أهم ما تتميز به مصر من قوتها الناعمة ممن أصبحوا من أكبر الدعاة إلى الله بأصواتهم الشجية التقية النقية الصافية، ومتحدث يكون مؤهلًا لمواجهة الجمهور والتأثير فيهم بما يحويه عقله من فهم وما يحمله لسانه من قدرة على نقل هذا الفهم إلى الناس بأسلوب يصل بسهولة ويسر لملايين يستمعون إلى الراديو، وفى نهاية هذا اللقاء يكون الدعاء والابتهال لتلاميذ «النقشبندى» و«نصر الدين طوبار» الذى يتفنن صاحبه فى صيغ الدعاء والمديح من عيون الشعر العربى فى مدح الرسول ﷺ.

لقد كنت على شىء من التخوف بل والتردد فى الدخول إلى ساحة هذه الصورة الإذاعية، خاصة وأن الأمر تم باختيارى، خوفًا من استقبال الناس مما يمكن أن يسبب لى حرجًا، وهل أنا قادر على القيام بهذا العمل الإذاعى الذى يحتاج الجرأة والجسارة على مواجهة الجمهور، وفى ذلك يختلف تمامًا عن مذيع الهواء الذى يجلس وحده أمام الميكروفون فى غرفة مغلقة ويختلف عن البرنامج الذى يجلس فيه مقدم البرنامج مع ضيفه أو ضيوفه يحاوره أو يحاورهم. أما فى هذه الحالة فإن المذيع يقف أمام جمع كبير يحدثهم وجهًا لوجه، وفى نفس اللحظة يستمع إليه مستمعوه عبر الراديو ينقل إليهم صورة كاملة عن المكان والزمان وعن الفقرات المقدمة، بأسلوب يكون شاهدًا على بلاغة صاحبه وعلى إجادته فى

توصيل رسالته، ويعتمد على وعى المذيع وأسلوبه ومنطقه. أبديت استعدادًا للقيام بالمهمة، وقدمت بين يدى ذلك بأننى منذ كنت طالبًا فى الجامعة وأنا أصعد المنبر لخطبة الجمعة، لذا فإن مواجهة الجمهور لاتمثل مشكلة، بالإضافة إلى أنى قد حضرت بعض هذه الأمسيات مستمعًا.

تقرر أن أذهب فى أول أمسية لى إلى قرية تابعة للمنصورة اسمها «ميت الفرماوى». وكانت فى أكبر مسجد فى القرية، وتقرر أن تكون بعد خطبة وصلاة الجمعة، وكان القارئ معى فى هذه الأمسية من القراء الكبار وهو فضيلة الشيخ الشحات محمد أنور ولم يكن يعرفنى، فلما رآنى لمحت فى عينيه آثار عَجَب يخفيه فى اختلاسه النظرات إلىَّ حتى لايسبب لى حرجًا، وبعد أن انتهت الصلاة وضع فضيلته يده على كتفى وحيانى وضمنى إلى صدره وكأنه قد أشفق علىَّ من الموقف ثم شجعنى بأن الناس تنتظرنى، وقال لى وهو يرفع عينيه كلمة تدل على ما فى نفسه من حرص على شخصى؛ أيها الجواد انطلق.

أدرت جانبى إلى الكاسيت الذى كان معدًا والشريط فى مكانه وضغطت بإصبعى رجلى أمام عيون من يجلسون فى الصفوف الأولى على زر record التسجيل وز play التشغيل لكى يبدأ التسجيل، وبدأت بالتقديم أمام المسجد الذى امتلأ عن آخره بالذين حضروا صلاة الجمعة وبرواد المساجد الأخرى الذين جاءوا لكى يستمعوا إلى الأمسية، فما إن بدأت ـ وكنت قد زينت فى خزانتى اللغوية بداية أخاذة قوية ـ حرصت على أن تكون عينى أثناء الكلام فى عيون الجالسين أمامى لتكون كلماتى أكثر تأثيرًا ولكى أزيل بهذا التقديم كل ما يكون من آثار ولو قليلة لنظرة عجز تفرض نفسها على بعضهم. وماهى إلا عبارات قليلة حتى وكأن

خدرًا قد سرى فيمن يجلسون أمامى، قوامه الكلمة المنتقاة والأداء القوى والصوت الجهورى الذى يناسب المقام، وبقدر ما رأيت من نظرة عَجَب رأيت نظرات احترام وتقدير، خصوصًا من مَجْمع الأدب البشرى والاحترام الإنسانى والحدب الجميل القارئ الشيخ الشحات محمد أنور الذى قدمته للتلاوة، فقام أمام الناس جميعًا واحتضننى لتكون صداقة وأبوة من هذا الرجل القرآنى الذى أصر أن يقرأ فى عقد قرانى فى المسجد الذى تربيت ونشأت فيه، وأصبح ـ وهو من أكبر مشاهير القراء فى مصر فى هذه الفترة ـ لا يرفض مطلقًا المشاركة فى أمسية أقدمها ويكون سعيدًا جدًّا بذلك.

وكما كانت أول أمسية انطلاقة قوية كان ما جاء بعدها على نفس المنوال والصورة، حيث تعلمت أن المذيع المسئول عن خيوط نسيج الأمسية من قارئ ومتحدث ومبتهل يحدد لهم الوقت، ولا يسمح لأحد أن يعبث أو يسىء إلى أحد منهم، ولا يسمح لأحد أن يخرج عن دوره، وإذا حدث شىء من التجاوز لابد أن يكون حازمًا وحاسمًا فى اتخاذ القرار خصوصًا إذا كانت الأمسية على الهواء.

وأذكر أن بعض قراء القرآن الذين لم يتعرفوا علىَّ ولم يعلموا أنى مذيع الأمسية كانت لهم مواقف لاتنسى، لأن شكلى قد لا يجعل من يرانى لأول مرة يصدق أنى مذيع إذاعة. أحدهم دخل المسجد وكنا ننقل صلاة الفجر من مسجد «نصر الدين» بالهرم، وكنت أجلس مع الناس فجاء وسلم على الجميع ولم يسلم علىَّ، ظنًا منه أن هذا الجالس هو أحد الذين يغشون المساجد لحاجة، وقتها غضبت ولكن كتمته قسرًا لأننى أستعد للخروج على الهواء، وقمت من مكانى وأخذت موضعًا

قريبًا منه ووضعت الميكروفون أمامى وهو ينظر وقد أخذه العَجَب، وبدأت فى التحضير مع الفنى استعدادًا للخروج على الهواء. سأل الشيخ الفنى: مَن المذيع؟ فقال الفنى ـ بلغة عامية ـ وكأنه يبكته: «أنت مانتاش شايف الميكروفون مع مين يامولانا، الأستاذ رضا عبد السلام مذيع إذاعة القرآن»، فأُسقط فى يد الرجل الذى جاء معتذرًا، ولكنى لم أفوت الفرصة وأخذت حقى برد فعل أردته درسًا لصاحبنا بأن قلت له: ألم تقرأ الآية التى تقول: «ولقد كرمنا بنى آدم...»، فاعتذر الرجل وظل يذكرها بعد ذلك كثيرًا كلما التقينا.

وفى المقابل، هناك مواقف لاتُنسى لشدة إنسانيتها، كما كان مع القارئ «الشحات أنور» ومع المبتهل الفنان الكبير «محمد الطوخى» الذى لحقته فى أواخر سنين عمره، الذى كان إذا دخل المسجد وعلم أننى المذيع فرد ذراعيه من بعيد حتى أصل إليه ويضمنى إلى صدره، وكان عندما أبدأ كلامى فى الميكروفون ينظر لىَّ نظرة إعجاب يعبر فيها عن قلب طيب يحب للإنسان أن يحيا كريمًا طيبًا دون أن تضربه عواصف ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وعند نقل الأمسيات الدينية قد تنتج مشكلة يحس بها المستمعون، كهذا الذى حدث منذ أكثر من عشر سنوات، حين كنت أنقل احتفال الإذاعة بالمولد النبوى الشريف من مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر. وبعد أن انتهى القارئ من قراءته وكذلك المتحدث ثم بدأ المبتهل فى الدعاء، وجدت شابًا يأتى من بعيد وعلى وجهه علامات الغضب وفى عينيه أثر للبكاء ويبدو على جفنيه اللذين ذبول الحزن، فأرسلت إليه عامل المسجد وتابعت ماكان بينهما فرأيت الصوت قد ارتفع وبدأ يتسلل

إلى ميكروفون الإذاعة، وجاءنى العامل ليقول لى إن هذا الشاب فى عزاء والده بجانب فى دار المناسبات الخاصة بالمسجد وأن صوت الأمسية يشوش عليهم، وأضاف العامل أن الشاب يمكن أن يتهور، فأخذت قرارًا سريعًا وطلبت من المبتهل الانتهاء فورًا، وطيرت الميكروفون مكرمًا إلى دار الإذاعة دون ضرر.

وأذكر هذا الموقف الذى لا أنساه عند نقل صلاة التراويح من مسجد عمرو بن العاص فى ليلة السابع والعشرين من رمضان، حيث كان يؤم المصلين الشيخ «محمد جبريل»، وكنت مع الأستاذ إبراهيم مجاهد فى هذه الليلة، وهو الذى بدأ التقديم وأعطانى الميكروفون بعد ذلك فحملته فى عضدى وكأنى أحمل عضوًا من أعضائى، وأرسلت لسانى يصف هذه الوفود الحاشدة والوجوه الخاشعة والدموع التى تنحدر خوفًا وطمعًا. وأذكر وأنا أختم هذه الليلة وكنا بجانب الشيخ جبريل الذى أنهى دعاءه المشهور وقد جثوت على الأرض والناس فوقى وأنا أحاول جاهدًا أن أحفظ لكلمات الختام استقامتها الصرفية واللغوية بعد أن ألقونى على الأرض، لم يحس المستمعون بشىء إلا بالجلبة التى لايستطيع أحد أن يمنعها فى مثل هذا الموقف. موقف شبيه حدث لى أيضًا بعد خطبة الشيخ «محمد العريفى» فى مسجد عمرو بن العاص، فقد هجم الناس على الشيخ وكنت بجانب المنبر، والناس التى تجمعت حولنا تصدمنا بأرجلها دون قصد، وقتها أشرت لمساعد الفنى أن يمسك الميكروفون بسرعة اقتضاها الموقف..

هذه برامج قدمتها فى إذاعة القرآن الكريم على مدى مسيرة طويلة، كنت فيها واحدًا من فريق يعمل على توصيل رسالة الدعوة طبقًا للقيم

الإسلامية، حسب الإمكانات المتاحة وحسب هامش الحرية الممنوح والذى كان يتسع ويضيق حسب الظروف والأحوال، ومواقف عشتها أثناء عملى مذيعًا للهواء كأول مذيع فى العالم يقف أمام ميكروفون فى أستوديو للبث المباشر على الهواء مستعيضًا عن يديه بإمكانات لا تقل مطلقًا عن زملائه ـ بل تزيد ـ فى التحكم فى مفردات الأستوديو وفى نقل صوته عبر موجات الهواء، بثقة صنعها بنفسه فى داخل كل من نصب نفسه وصيًا على إبداع الإنسان وجعل من نفسه حائطًا يحول دون تنفيذ البشر لأحلامهم الممكنة، ولكن هيهات لهذا أن ينجح سعيه المعدوم أمام من أراد لنفسه أن تحيا متوشحة بتاج الفعل الناجح والعمل المنتج والسعى الدؤوب نحو إثبات الذات، فى مجتمع يرى من فاتته يد أو رجل أو عين كأنه مات حتى ولو دبت نفسه الوثابة على أديم الأرض سعيًا أو سبحت روحه لمن منحها حق الحياة أو نفذت بصيرته لتحكم سفينة الحياة رشدًا وعقلًا وفهمًا.

هذا المجتمع الذى يجبرنا على أن نعيش حياة نموت فيها ألف مرة مع كل موقف نريد فيه انتزاع الحياة، لكنه موت لكى نحيا حياة الكرامة الإنسانية حتى ولو شَجَّنا التعب أو آلمتنا العوادى، حياة يعترف فيها المجتمع أن لنا وجودًا فيه عنده وما نريد أكثر من أن نعيش كما يعيش الناس. وإذا كان اختيار فليكن لمن يستحق ولمن يقدم ما ينفع به نفسه وما ينفع به المجتمع، لذلك كنت حادًا جدًّا وربما يعرف ذلك عنى كل من ربطتنا فى الحياة علاقة قريبة، وقد يكون ذلك لكثرة ما تعرضت له فى حياتى من ضياع لحق أو إهمال لذاتى أو محاولة لتزيين كلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع. وأعترف أن ذلك كان عبئًا شديدًا على تفكيرى وسلوكى وعلاقاتى، حتى خَلَّفَ مرض الضغط فى سن صغيرة ومظاهرة دائمة للقولون العصبى على جسدى النحيل، كما خَلَّفَ قلقًا يزيد وينقص تجاه ما هو كائن وما هو قادم يخبئه القدر. ولكنى راضٍ تمامًا عن مسيرتى مع هذه الحديدة العجيبة التى

أبثها ما عندى من أمل فتبعثه معان راقية وقيمًا أصيلة وكلمات معبأة بالخير لكل من يصله صوتى عبر الراديو فى أنحاء مصر والعالم.

## سفير الإذاعة

إذاعة القرآن الكريم فى الإعلام المصرى لها خصوصية قد لا تتوافر لأية وسيلة إعلامية أخرى، إذ تمثل ملتقىً إعلاميًا للدول العربية والإسلامية، الذين يكون للخطاب الموجه إليهم تأثيره البالغ فى إثراء قيم التعاون والترابط والاتحاد التى تستحيل فى الواقع لكنها تتحقق عبر موجات الراديو. لذلك كانت هناك مبادرة فى أواخر الثمانينيات بنقل صلاة العشاء والتراويح من المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف بمكة المكرمة والمدينة المنورة. ولأن هذا النقل كان على الهواء مباشرة كان لابد لمن يُختار لهذه المهمة أن أن يتمتع بالإمكانات اللازمة للقيام بهذه المهمة الصعبة، إضافة إلى أن يكون مستعدًا لبعض الأمور التى قد لا يعمل لها حسابًا فى المملكة العربية السعودية، لذلك اختير للمهمة أكثر المذيعين كفاءةً ولياقةً من حيث اللغة والأداء، وكذلك كان لهم خبرة بالمجتمع السعودى إذ كانوا معارين هناك لعدة سنوات.

فى ظل هذه الشروط، ظل السفر محصورًا فى ثلاثة كبار فقط، هم الدكتور «فوزى خليل» ـ رحمه الله ـ والدكتور «على طبوشة» والأستاذ «إبراهيم مجاهد». وظل هذا الوضع قائمًا إلى أن جاءت الدكتورة «هاجر سعد الدين» رئيسة لشبكة القرآن الكريم، فأرادت أن تغير هذا الوضع وأن تتيح الفرصة لغير هؤلاء الثلاثة. وقتها حاول البعض ثنيها عن الإقدام على هذه الخطوة ولكنها أصرت على موقفها، وكانت حجتها

أن جميع المذيعين تقريبًا يمكن أن يؤدوا هذه المهمة بنجاح فلماذا يستحوذ عليها قلة منهم؟!.. صحيح أنهم خير من أنجبت الإذاعة لكن لابد من أن يكون هناك مشاركة خاصة وأن لها مردودًا ماديًا ولها أيضًا ـ وهو الأهم ـ التقدير الأدبى الذى يحظى به من يجلس وأمامه الكعبة المشرفة أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض، وهو يصف للناس ما يرى وينقل لهم الصورة أمامه وكأنهم معه، وكذلك من المسجد النبوى الشريف وبجانبه بيت الرسول ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر، فما أعظمه من موقف.

واختارت الدكتورة هاجر لهذه المهمة زميلنا الولى الصالح الأستاذ «أبو بكر»، الذى كان هو الاختبار للتجربة التى تحملت نتيجتها. ويذهب أبو بكر وينطلق صوته ببراعة ليس لها نظير وبروحانية مَنْ توحد فى المعانى التى كانت تأتيه وهو يرى الكعبة المشرفة وكأنها الملهمة، وأخذ يصف ما يرى ويصف فى نفس الوقت مشاعره المتدفقة فى تلك اللحظات، وجرت اللغة العربية على لسانه وكأنها ماء جار ينساب سهلًا عبر سهول النفس المشتاقة والروح الهائمة والعقل الذى يمسك بالدفة كالربان. وأصبح أبو بكر هو الباب الذى فتح علينا هذه النعمة السخية التى كانت مقصورة على كبار المذيعين.

ووضعت الدكتورة هاجر كعادتها معنا أسس العدل الوظيفى فكان لكل مذيع الحق فى السفر، خاصة وأنها كان لها السبق الإعلامى فى نقل ميكروفون إذاعة القرآن من مصر العريقة عربيًا وإسلاميًا إلى أنحاء كثيرة من الوطن العربى والعالم الإسلامى، فنقلت صلاة العشاء والتراويح من سوريا من المسجد الأموى فى دمشق ومن مسجد الزيتونة فى تونس ومن مسجد فى إحدى دول البلقان التى كانت حديثة العهد بالاستقلال ومن

مسجد فى إسبانيا الأندلس ومن الإمارات العربية المتحدة ومن المملكة المغربية، وكانت فترة نادرة للإعلام المصرى حيث استطاع التواجد بقوة فى هذه الأماكن..

وجاء دورى فى السفر، وكان إلى دبى فى المسابقة الدولية للقرآن الكريم التى تقيمها إمارة دبى سنويًا، وكانت من السفريات التى ينتظرها الجميع، لأن فيها ضيافة من المسابقة وتهيأ جميع الظروف لعمل المذيعين والصحفيين والمراسلين، وكنت أعرف أن الدور علىَّ فى هذه المسابقة فانتظرت ماذا سيحدث؟. وبعد يومين اتصلت بى الدكتورة «هاجر» تليفونيًا وأخبرتنى أن الدور عليك فى هذه السفرية إلى دبى وعليك أن تجهز نفسك للسفر، واسأل من سافر قبلك حتى يكون لديك المعلومات اللازمة سواء للمعاملة هناك أو لطبيعة نقل الرسائل وكيفية إرسالها.

كدت أطير من الفرح، وجلست أنا وزوجتى نجد حلًا لكل مشكلة خاصة بملبسى بحيث لا أحتاج أحدًا فى هذا الأمر، واشتريت الحزام الذى يُرَكَّب فى البنطلون بحيث أستطيع أن ألبسه كما أريد، وبالنسبة للملابس الداخلية وجدنا لها طريقة فيها بعض التعب لكنها منجزة. وأصبحت جاهزًا فى خلال يومين من حيث الأمور التى يمكن أن أحتاج فيها إلى أحد للمساعدة.. ولا أنسى موقفًا حيث قال عبد الرحمن ابنى وكان سنه حوالى أربع سنوات لأمه: يا ماما مين اللى هايلبس بابا ويقلعه؟! فردت عليه أمه وهى تحتضنه بما يطمئنه. وفى يوم الحصول على التأشيرة للسفر طلبتنى الدكتورة هاجر فى مكتبها، وسألتنى وهى متحرجة بلسان الأم الرؤوم الطيبة الحانية عن موضوع الملبس وأحسست أن عليها ضغطًا ما فأجبتها بما يطمئنها.

وسافرت إلى دبى، لأجد من ينتظرنى فى المطار من المسابقة، ووجدت شابًا من شباب قريتنا عَلِمَ هو وأصحابه أننى سأكون هناك، فركبنا السيارة إلى فندق سفير فى مدينة دبى حيث كانت وفود جميع الدول المشاركة فى المسابقة من معظم دول العالم، وسكنت فى غرفة واسعة وحدى ومعى تليفون أستطيع أن أستقبل عن طريقه جميع الاتصالات من مصر.. وبمجرد وصولى أبلغتهم فى مصر، وكان يجب أن يتواصل معى مدير المذيعين، لكنه لم يعرنى أى اهتمام ووجدت من يستقبل منى الرسائل اليومية هو الأستاذ «إبراهيم مجاهد» وليس مدير التنفيذ المباشر لى، فلم أسأل وقتها وبدأت فى عملى.

كنت أكتب اسم كل متسابق ومن أى دولة وانطباعى عنه، وكيف أدى أمام لجنة الامتحان التى كان نائب رئيسها هو العلامة المصرى الكبير الشيخ «عبد الحكيم عبد اللطيف» الذى كنت أذهب إلى غرفته وأعرف منه ما خفى على جميع الصحفيين والمراسلين. وكنت بعد أن نعود من المسابقة أغلق على نفسى باب غرفتى وأكتب الرسالة، وكانت رسائل قوية من حيث المعلومة ومن حيث العرض الأدبى الذى كنت أراعى فيه الخبر والمعلومة وعرض الصورة كاملة وانطباعاتى الشخصية من خلال ما رأيت وعاينت. وقد وَجَدَت هذه الرسائل قبولًا لدرجة أن الدكتورة «هاجر سعد الدين» وقتها اتصلت بى قبل نهاية المسابقة بيوم واحد وصاحت بأعلى صوتها فى التليفون: شرفتنى يا رضا، فأحسست أن فى الأمر شيئًا. وفى نهاية المسابقة علمت بالنتيجة قبل إعلانها بقليل وعلمت أن الأول كان شابًا من تشاد.

وبعد إعلان النتيجة ذهبت إلى الفائز وكنا بالليل، فطرقت باب

الغرفة فوجدت زميله يرحب بى، فسألته عن هذا الذى فاز بالمركز الأول ودخلت الغرفة لأجد هذا الشاب يقيم الليل شكرًا لله على النجاح. وأجريت معه لقاءً لإذاعة القرآن الكريم، وكان مما سألته: ماذا تفعل بهذا المبلغ؟ وكان حوالى ـ على ما أذكر ـ 500 ألف درهم إماراتى، نظر إلىَّ الشاب الذى تخلل نور الصلاة وجهه الأسمر فأصبح كأنه ياقوته من يواقيت جنة الأرض وقال: سأبنى بها مدرسة ومجمعًا إسلاميًا كبيرًا. فخرجت وقد امتلأت رضا بهذه النتيجة العادلة.

وكان الفائز الثانى شابًا من تركيا، وكان عندما يقرأ القرآن الكريم يجذب إليه كل من فى القاعة، فتشخص أبصارهم إلى هذا الأعجمى الذى يرجع صوته شجيًا بالقرآن الكريم. وعندما ذهبت إلى هذا الشاب الذى لأجرى معه حوارًا اعتذر لأنه لا يتكلم العربية إلا القرآن، فقلت سبحان من سخر القرآن للذكر لمن يذكر. وكان فى هذه المسابقة طفل إيرانى سنه عشر سنوات اسمه «مهيار»، حاز شهرة واسعة فى العالم كله بعد المسابقة، كان هذا الطفل يرد على كل سؤال يسأله الممتحنون فيجيب ثم يقول هذه الآية فى الصفحة كذا على اليمين أو الشمال وفى السطر كذا فى الصفحة فأبهر الجميع، فتسللت إلى غرفته لأحظى منه بلقاء فاستقبلنى والده ورحب بى ولكن قال إن ابنه لا يتكلم العربية إلا القرآن، فكان هذا الطفل هو فاكهة المسابقة وهديتها.

وانتهت المسابقة التى أكرمت فيها دبى زائريها سواء على مستوى المتسابقين أو المراسلين الصحفيين أمثالنا، وانتهت بتكريم سمو الأمير «محمد بن راشد آل مكتوم» للمتسابقين فى احتفال مهيب ولشخصية العام وقتها والتى كانت مؤسسة الأزهر الشريف فى هذا العام. ولأن المسابقة

تجرى فى العشرين الأُوَل من رمضان كان لها عبق رمضانى خاشع تهل فيه بركات الشهر الكريم.. ومن المواقف التى لا أنساها أننى فى إحدى الليالى دخلت المصعد فرأيت الفنان «حسن يوسف» ومعه سيدة منتقبة، فعرفته بنفسى فسعد جدًّا، وعندما سمعتنى زوجته قالت نحن نسمع إذاعة القرآن وبرامجها، وكان الفنان حسن يوسف من المكرمين فى هذه المسابقة لأنه كان يذاع له فى نفس السنة وفى رمضان مسلسل عن حياة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

رجعت من دبى، وكان من الطبيعى أن أتصل بالرئيس المباشر لى وهو مدير التنفيذ، وما أن سمع صوتى فى التليفون حتى بدى عليه الإهمال الشديد لى، وأخذ يسخر من كلامى بعد أن قلت له إننى فعلت كذا وكذا، فعجبت من موقفه، لكنى أخذت حقى وقتها إذ قلت له إن الدكتورة هاجر قالت لى شرفتنى، وانتهت المكالمة معه. لم أضع سماعة التليفون وإنما طرقت على التليفون برقم الدكتورة هاجر سعد الدين التى هنأتنى بما فعلته، وشكوت لها ما حدث من مدير التنفيذ، فقالت لى: إنها كانت تعلم أنه سيفعل ذلك معى. وذكرتنى عندما استدعتنى لتسألنى عن استعدادى للسفر وقالت إنه كان يطمع فى هذه السفرية فلما حالفك التوفيق كان لابد أن يكون هذا موقفه منك، فلا تحزن.

والرحلة الثانية كانت للمملكة العربية السعودية لنقل فعاليات الحج، وهذه لها قصة تقول لكل مشتاق عليك باللجوء إلى الله بصدق ودع الأمور عليه. كنت تلميذًا للأستاذ الكبير الدكتور «عبد الحليم عويس» الذى كان شخصه عبارة عن قلب كبير يحمل للناس كلهم فيه حبًا وودًا وأدبًا جمًا عرفته واقتربت منه، وكان هو من أبرز الوجوه لرابطة العالم

الإسلامى فى مصر، وقضى فى الرابطة مع مؤسسها سنين طويلة. طلبت من الدكتور عبد الحليم أن أحج مع رابطة العالم الإسلامى، فوعدنى، وكان ذلك قبل موسم الحج بكثير، وإذا به يتذكر بعد حلول أول ذى القعدة واتصل بى وذهبت إليه بجواز السفر وطمأننى أننى سأسافر، وعلم كل من حولى أننى سأحج هذا العام. وأخذت الأيام تتوالى يومًا بعد يوم، وفجأة وجدت الدكتور «عبد الحليم عويس» يتصل بى يبلغنى بسفره وألا أقلق إذ أن التأشيرة سوف تأتينى، وتركنى وسافر. كنت أذهب يوميًا إلى القنصلية السعودية فى جاردن سيتى لأسأل، ويكون الجواب: التأشيرة لم تأت. فتسلل اليأس إلى نفسى وكدت أموت حزنًا وكمدًا، لكن سلمت أمرى لله وأيقنت أن الأمر قد استحال ومع ذلك لى أمل فى ربى.

وفى ليلة، قمت قبل الفجر ووقفت بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبكيت وسألته أن ييسر هذا الأمر لى أو أن يكتب لى الرضا بما يقضى، وذهبت لصلاة الفجر، ثم ارتديت ملابسى إذ كانت عندى فترة إذاعية من الثامنة صباحًا إلى الحادية عشرة، وبعد أن انتهت ركبت تاكسى من أمام مبنى الإذاعة ووصلت عند الشباك الخاص بالتأشيرات وسألته هل هناك تأشيرات جديدة، وصلت خاصة وأن هذا آخر يوم وستغلق المطارات، فقال لى استرح فأدرت ظهرى، عندها سمعت صوتًا هادرًا يأتى من داخل القنصلية من وراء شبكات الحديد «يارضا عبد السلام مبروك جات لك التأشيرة»، فخررت ساجدًا على الأرض. ولكن شد انتباهى أن الذى ينادى كان كأنه يعرفنى، هذا واضح من لهجة النداء، فنظرت خلفى فوجدته زميلًا كان معى فى مدرسة الثانوى لم أره من حوالى

خمس عشرة سنة، حكى لى قصة قد لا تحدث إلا فى الخيال. أخبرنى أنه دخل مكتب أحد زملائه، وأثناء وقوفه أمام المكتب رأى صورة لشخص يعرفه فتأمل فى الصورة، هذا رضا عبد السلام زميلنا، فأمسك بجواز السفر وسأل زميله عن سبب رجوع هذا الجواز، فقال السبب رقم يحتاج إلى تصحيح لذلك لابد من الاتصال بالسعودية، فأخذ زميلى الجواز وصحح الرقم وأصبح صاحب الجواز جاهزًا للسفر، فشكرته وخرجت بسرعة، حيث كان آخر يوم فى السفر. ثم ذهبت لشركة الطيران وقلت للموظفة لاتقولى لى مافيش تذاكر، فقالت لى هناك تذكرة لمسافر لم يؤكد حجزه وكأنها تنتظرك، فاتصلت بزوجتى وكانت المفاجأة المذهلة عندما أبلغتها أننى سأسافر فى طائرة الثامنة مساءً.

فى العاشرة من مساء ذلك اليوم كنت فى مطار الملك عبد العزيز بجدة، وفى منتصف الليل كنت أطوف حول الكعبة وأصلى ركعتين خلف المقام وأسعى بين الصفا والمروة وأملأ نفسى وروحى ووجدانى بماء زمزم العذب.. وفى الصباح، فى مؤتمر تقيمه رابطة العالم الإسلامى فى فندق بمكة، وجدنى الدكتور «عبد الحليم عويس» أمامه فى مفاجأة جعلته يقول لى كنت أعلم أنك ستأتى لأنى أعلم كم أنت مشتاق.

ونقلت فاعليات الحج يومًا بيوم، لكنى لم أكن أستطع أن أنقل على الهواء لأن ذلك يتطلب أن أكون فى مهمة رسمية من الإذاعة، ومع ذلك تمكنت من النقل لإذاعة القرآن الكريم بصفة استثنائية، فنقلت كل الصور التى رأيتها فى هذه الرحلة النورانية خبرًا ومعلومة ومشاعرًا وزمانًا ومكانًا. وكانت من أعظم الرحلات فى حياتى، حيث كان الاختيار فيها من الله سبحانه وتعالى بعد أن انقطعت عنى الأسباب وتعلمت منها ألا

أقطع الأمل فى شىء أبدًا مادمت مؤمنًا بأن لى ربًا رحيمًا، سبحانه إذا قال للشىء كن فيكون.

## شخصيات لا تُنسى فى مسيرتى الإذاعية

هذه شخصيات كبيرة النفس عظيمة العطاء سخية ثرية، لها فى نفس كل من تعلم على يديها أو تعاون معها أو اقترب منها كل التقدير والاحترام والتبجيل. سأبدأ بهذا العلم الإذاعى الكبير صاحب الصوت النقى اللامع ذو النبرة الواثقة واللهجة الحازمة، الأستاذ الكبير «عبد العال هنيدى» من أفضل من قرأ نشرة الأخبار فى الإذاعة المصرية. هذا الرجل الذى يرتفع عود جسمه الطويل فى الفضاء شامخًا تظلله هالة من كبرياء المعتز بنفسه فى تواضع، وعيناه تسكنان وراء نظارته السوداء البسيطة، ووجهه تشرق منه بسمة القبول دائمًا. هذا الأستاذ الكبير كنا تلامذة له فى بداية دخولى الإذاعة، حيث كان يشرح لنا كيف تقرأ نشرة الأخبار وكيف تتعامل مع الأخبار على اختلاف درجاتها وأنواعها. ومن أهم الدروس التى تعلمناها من هذا الرجل ما تميزت به الإذاعة المصرية عن بقية الإذاعات فى المنطقة فى نشرة الأخبار وهو الحيادية عند قراءة الخبر بمعنى أنك يجب أن تكون أمينًا عند قراءة الخبر فتنقله بألفاظه ومعناه دون أن تنحاز لما فى الخبر، وأن تكون مهنيًا فى تناولك، فتبدأ الخبر، وكأنك تريد أن تحكى حكايته دون أن يكون لك رأى ترسله من خلال أدائك، أما بالنسبة للتعليق على الأحداث والتى كانت تتميز به الإذاعة المصرية هنا تأخذ مكان كاتب التعليق لأن هذا من قبيل الرأى. وكان ـ رحمه الله ـ له أدبه العالى معنا جميعًا، وأذكر أنه دائمًا ماكان يثنى على

أدائى وينبهنى أننى متأثر بإذاعة لندن وأن الصاد كما قال تفلت منى قليلًا فيزيد صفيرها مما يخرجها إلى منطقة السين. وظل إلى أن توفى ـ رحمه الله ـ وهو بشموخه الإذاعى المعروف وبوجهه الذى كان يحتوينا نحن تلاميذه أدبًا وعلمًا وفنًا إذاعيًا.

«أبلة فضيلة» هذه التى صاحبتنا صغارًا وبثت فى نفوسنا صوتها الأمومى الرقيق لكى تعلمنا قيمًا إنسانية رفيعة. هذه القامة الإذاعية اقتربت منها ضمن دورة إذاعية، وكان أهم ما تعلمته منها فى هذه الدورة أن الإذاعى إذا صدق الميكروفون الذى أمامه فسوف يصدقه الميكروفون ويكون أمينًا فى نقل كل ما يقوله للناس وسوف يستقر ذلك فى عقولهم وقلوبهم كما أراد. وهى التى قصت علينا كيف يُعَد البرنامج وكيف يكون لمقدم البرنامج رأى فى الاختيار من خلال درايته بالفئات التى تسمعه والتى يستهدفها برسالته، ودللت على ذلك بما كان يكتبه الأستاذ «عبد التواب يوسف» الذى حضر معها محاضرتين أثناء هذه الدورة وأسهب فى كيفية الكتابة للطفل وفى شرح المواصفات اللازمة لذلك.

وحدثت مشادة لطيفة أثناء محاضرة الأستاذ عبد التواب يوسف إذ تطرق إلى حجاب المرأة وقال إن القرآن ليس فيه آية لوجوب الحجاب، وبعد أن انتهى طلبت الكلمة وشكرته أولًا ثم قلت: وليسمح لى الأستاذ عبد التواب أن أقول أن هناك آيتين واضحتين فى وجوب الحجاب فى سورة النور وفى سورة الأحزاب، هنا سألنى الأستاذ عبد التواب عن الإذاعة التى أمثلها قلت إذاعة القرآن الكريم، ودار بيننا نقاش هادئ، وبعد المحاضرة انتصرت لكلامى أمام الأستاذ عبد التواب يوسف الذى كان واسع الصدر وجادلنى بأدب لكنه لم يقتنع بما قلت!!

وممن تعلمنا منه جميعًا فى إذاعة القرآن الكريم الدكتور «عبد الصمد دسوقى»، هذا الإذاعى الكبير الذى كان مذيعًا كبيرًا فى البرنامج العام، ثم بعد رحلة طويلة من العمل الإذاعى والأكاديمى جاء رئيسًا لإذاعة القرآن الكريم فغير وجه الإذاعة بحسه الإذاعى وخبرته أمام الميكروفون وتدريسه الإعلام الأكاديمى. لقد أصبحت خريطة الإذاعة فى عهده تتلألأ دائمًا بكبار القراء فى ذروة أوقات الاستماع، وكان الأذان لايُذاع إلا بأصوات القراء الكبار أمثال الشيوخ «محمد رفعت ومصطفى إسماعيل والحصرى» وغيرهم من الأعلام، أما القراء الجدد فكان يتيح لهم التواجد فى الأمسيات على الهواء أو المسجلة. وكان يوظف إمكانات العاملين جميعًا خير توظيف، وكانت له بصمة فى توجيه المذيع أو مقدم البرنامج. وحدث أن جمع جميع المذيعين ومقدمى البرامج ليوَصِّف أصواتهم وحتى يعطى كل منهم ماينا سبه من عمل، وأذكر أنه أثنى على أدائى بالصوت المنخفض أمام الميكروفون، فكان يقول أحس أنك تجلس معى تحدثنى، وهذه ميزة أن يكون المذيع بعيدًا عن التكلف. وقد ساهم فى طيران الميكروفون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة كل عام لنقل صلاتى العشاء والتراويح فى العشر الأواخر من رمضان. وكان يتميز بشجاعته أمام المسئولين الكبار..

أما هذه السيدة الوقور الدكتورة «هاجر سعد الدين» التى رأست إذاعة القرآن لعدة سنوات هى من أفضل سنوات عملنا فى إذاعة القرآن الكريم، حيث كانت تسير فينا بالعدل والقسط فكان لا يُظلم أحد عندها. وكانت إدارتها بقدر الحزم الذى كانت تتمتع به، إلا أنها لاتخلو من إنسانية. ثم إنها من كبار الإذاعيين فى تاريخ الإذاعة المصرية ببرنامجها

الشهير على موجات البرنامج العام والذى نقلته معها إلى إذاعة القرآن الكريم، وهو برنامج «رأى الدين». وفى عهدها حافظت على المنهج الذى سار عليه قبلها الدكتور «عبد الصمد»، وهى التى جعلت إذاعة القرآن الكريم تصل إلى أنحاء كثيرة من العالم، مشاركة لمصر مع هذه الدول العربية والإسلامية. وأذكر لها مواقف لاتُنسى معى كموقفها فى سفرية دبى وما حدث منها تطبيقًا للعدل. وكانت كل أمنيتها أن تكون الإذاعة فى أحسن صورة..

ومن الرواد الكبار الذين لحقت بهم وعملت معهم الأستاذ الكبير «عزت حرك» ذو الصوت المبحوح الجميل الذى كانت ترتاح إليه الأذن، صاحب برنامج «بريد الإسلام» والذى كان شديد الأدب مع كل الناس وكان قامة إذاعية سامقة. والدكتور «عبد الخالق محمد عبد الوهاب» الذى كان والدى ـ رحمه الله ـ ينتظر برنامجه «من بيوت الله» الذى نقل لمصر كلها من خلاله أصوات القراء الكبار، وبث قيم الإسلام بكلمات من علماء مصر الكبار وقتها، وها هو ابنه الإذاعى النابغ «عماد الدين عبد الخالق» يكمل مسيرة العطاء التى بدأها والده..

وزملاء آخرون تعلمت منهم ـ كما أسهبت قبل ذلك ـ كالأستاذ «إبراهيم مجاهد» والدكتور «فوزى خليل». ومن زملائى الذين وفدت عليهم فى إذاعة القرآن وكانوا نجومًا وقتها هذا الصوت الرصين الهادئ الأستاذ «عبد القادر الزنفلى» الذى صحبته سنوات طوال فى برنامج «قطوف من السيرة». والزميل الدكتور «محمود خليل» صاحب الحوارات المشهورة التى قد يحتل فيها مكان ضيفه. والزميل «عادل عبد القادر» صاحب الثقافة الواسعة. والزميل «رجب خليل» الذى يجب أن

يرجع إلى إذاعاته الخارجية التى ينقل فيها الصلاة من المساجد الكبرى لكى يتعلم الجيل الجديد، وخاصة نقله لموسم الصلاة فى رمضان من المسجد الأموى بدمشق والتى كانت شديدة الروعة والتألق. والزميل «أحمد همام» الذى خطفته السياسة من باب خدمة الناس لكن الإذاعة فى دمه فقد حقق فيها. نجاحات كبيرة، منها نقله المشهور من المسجد الأقصى المبارك والذى كان حديث الإذاعة وقتها. وزميلنا «سعد المطعنى» الذى عُرف ببرنامجه الشهير «المصحف المعلم» الذى تعلمت منه مصر كلها كيف تقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة. ومازالت هذه الإذاعة تعطى عطاءً لاينضب لأن معينه القرآن وسنة المصطفى ﷺ. وهاهم أبناؤها جيلًا بعد جيل يخلصون فى رسالتهم الإعلامية فى الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.